تقسيم لبنان .. إبتزاز أم حقيقة ؟

التلويح "بالتقسيم" هدفه جرّنا إلى معركة طائفية جانبية !

هل التقسيم ممكن التنفيذ في الظرف الرّاهن ؟

بقلم : محمود جواد

نيس والجميل وشمعون : الحلم بالتقسيم ـ او التسليم

مع استمرار معارك « تل الزعتر » وحصاره ، ومحاولة ازالته من المنطقة الشرقية ، اخذ الحديث عن « التقسيم » يستحوذ على اهتمام المواطنين مع المعارك الدائرة ، ويمكن القول ان هذه الفكرة ـ تقسيم لبنان ـ سيطرت على اذهان جماهير عريضة ، منذ ان بدأ الحديث عنها في الاشهر الاخيرة ...

ولقد ساعد على انتشار هذه الفكرة ، ما نشرته الكثير من الصحف الوطنية ، عن الموضوع وعدم معالجتها له باسلوب علمي هادىء ، بل وللاسف انساقت هي وراءها، بحيث تجاوزت اعلاميا الطرف الرجعي الطائفي نفسه المعني بالتقسيم اولا ...

تطور الاحداث ، وفكرة التقسيم

ومعلوم انه في اعقاب احداث قبرص ومن ثم تقسيمها قبل حوالي السنتين ، طرح موضوع « قبرصة لبنان » في محاولة لاذكاء الروح الطائفية في البلد ، عقب اشتداد الصراع الطبقي ، وخاصة نشوء ما اطلق عليه « بحزام البؤس » حول بيروت ، والقريب من تلك العمارات الفارهة ! وعجز المؤسسات القائمة للدولة عن استيعاب هذا التناقض في قلب تركيبتها الطائفية ـ الطبقية ، ولكن بعد حين تم تجاوز الحديث عن موضوع قبرصة لبنان بسبب التطورات الاجتماعية والاعتداءات الاسرائيلية على لبنان ، حتى تفجرت المعارك الاخيرة في نيسان والتي فرضتها القوى الرجعية على الشارع الوطني ، هذه المعارك التي اتخذت في كثير من الاحيان شكلا طائفيا ، كما ارادته وسعت اليه تلك القوى الرجعية الفاشية .

ومرة اخرى عاد موضوع قبرصة لبنان ، ولكن ليطرح بوضوح مسالة التقسيم واستحالة « تعايش المسلم مع المسيحي » ، خاصة بعد « الذبح على الهوية » والتهجير الذي جرى لبعض المواطنين او هروبهم من منطقة لاخرى حسب انتمائهم الطائفي ...

والمتتبع للاحداث ، يجد ان تكتيك القوى الفاشية الطائفية ، وبالذات حزب الكتائب ، تعمد سياسيا « تسريب معلومات » عن التقسيم بين الشارع او التلميح له [طرح المشروع في اول اجتماع للجنة الحوار ثم جرى سحب المشروع بسرعة !] ، ومن ثم حاولت هذه القوى اعطاء التقسيم طابعه المحلي فعليا وكاملا ، من خلال مذابح السبت الدامي ، ومذبحتي « حي الفوارنة » و « سبنية » ، ومما اكد هذا التصور حول احتمال تقسيم موقف السلطة او اجهزة الدولة ، التي رغم علمها باستحالة عمل دوائرها ، فانها دعت موظفيها في بعض مصالحها للعمل في المناطق ، حسب انتمائهم الطائفي ، وهنا كان السلطة بقسميها الطائفيين تسعى للتقسيم !!

لقد طرحت خلال الاشهر الاخيرة اراء متعددة حول التقسيم ، وعن كونه مخططا امبرياليا اسرائيليا لان الاخيرة تريد ان تثبت من خلاله استحالة التعايش بين الطوائف المختلفة الاديان ومن خلاله تثبت استحالة تعايش الفلسطينيين مع اليهود وبالتالي استحالة عودة الفلسطينيين حسب هذا المنطق الى ارضهم ووطنهم ...

وهنا لا نريد الخوض في هذه الاراء ، متجنبين كثيرا من العوامل ومركزين قدر الامكان على حقيقة وامكانية حدوث التقسيم ، وفي هذه المرحلة من توازنات القوى في لبنان والمنطقة .

ومن المعلوم ان اي نظام رجعي قائم على اساس طائفي ـ وفاق الاذقان الطائفية فيه ـ لا يمكن الا ان يفرز تغذية مستمرة لخلخلة التعايش بين طوائفه المختلفة ، الامر الذي يعرض البلد دائما لتغير في الميزان الطائفي في هذا الاتجاه او ذاك ، على حساب التغييرات الطبقية الحتمية .

ولا بد من التاكيد ايضا ، انه في حال تقسيم لبنان ، فمعنى هذا ان الاسس التي قام عليها كيانه ، كانت خاطئة او غير صحيحة ، وهذا يمس ايضا كافة الكيانات المشوهة او المصطنعة وبضمنها الكيان الصهيوني القائم على اساس طائفي عرقي استيطاني ، كما ان ذلك سيمس الكيانات الاخرى التي ثبتتها مؤامرات الامبريالية في تقسيمها للوطن العربي ...

ولما كان واقع دولة لبنان طائفيا ، فقد حتم ذلك في ظل نظامه الرجعي انقسامه فعليا بين مؤسساته واجهزته ، يضاف له الانقسام الفعلي بين مناطقه ، حسب الاكثرية لاية طائفة ، وهذا الواقع الطائفي ، جاءت الاحداث الاخيرة لتغذيه بصورة كبيرة ، بسبب اتخاذها طابعا دمويا ...

ومثل هذا الواقع الطائفي للعلاقات والمناطق ، شهدته مناطق عديدة في العالم ولا تزال ، وبالذات شمال ايرلندا ، حيث نجد ان العديد من المعارك تتخذ طابعا طائفيا بين الكاثوليك من جهة ، والبروتستانت من جهة مقابلة ، فانقسام الاحياء والمناطق كان قائما منذ زمن بعيد ، ولكنه بسبب التدخل الاستعماري الرجعي وانفجار الصراع انقسمت ايرلندا بالنتيجة الى جبهتين ، احداهما مسيحية كاثوليكية ، والاخرى مسيحية بروتستانتية ، واذا كان مثال ايرلندا من حيث ظروفه له خاصيته ، وبالذات فيما يتعلق بالاستعمار البريطاني هناك ، فاننا نجد ان قيام دولتين هناك غير وارد ، علما بان الوضع المادي والجغرافي والسياسي يساعد على ذلك! اما بالنسبة الى لبنان ، فعلى الرغم من الجانب الوطني لم يدخل اللعبة الطائفية ، بل ويرفضها مبدئيا ، فان ظروف لبنان الاخرى من محلية وطائفية، وكذلك الظروف العربية المحيطة به ، والوضع الدولي لا يسمح بمثل هذا الانقسام القانوني ونشوء دولة طائفة واحدة ...

ان اي مراقب للوضع في لبنان بتعقيداته وتداخلاته ، يجد العناصر العربية والدولية فيه تتداخل فيه تداخلا ، يكاد يكون فريدا من نوعه بين دول العالم !

واذا ما تبعنا الموقف او الوضع الدولي ثم العربي ناهيك عن المحلي ، نجد ان مشروع التقسيم القانوني للبنان ضمن دولتين غير وارد في الظرف الراهن على الاقل ، او لربما يسعون له في المستقبل البعيد ...

وهنا سنركز على اي من الاصعدة بالنسبة لقضية التقسيم دون ان نشير الى اي اتجاه يقف هذا الطرف او ذاك في مجمل قضية الصراع في لبنان والمنطقة ...

فعلى الصعيد الدولي ، فهناك شبه اجماع على

ضرورة استتباب الامن في المنطقة واستقرارها كشرط من شروط نجاح اية « تسوية » فيها ، ولذلك فان تقسيم لبنان في ظل هذه المرحلة لم تتفق عليه اي من الدول المعنية بالامر فيه ، فالولايات المتحدة صرحت عبر سيسكو بتاريخ ٧٥/١٠/١٤ عن اعتقادها بان سلامة اراضي لبنان واستقلاله السياسي يجب المحافظة عليهما ، وبضرورة ان يحل اللبنانيون مشاكلهم بانفسهم وداخل حدود لبنان ، وان للدول العربية نفسها مصلحة قوية جدا الا يتوسع هذا النزاع لخطره على الوضع العام في المنطقة برمتها !

الوساطة الفرنسية

ثم جاءت الوساطة الفرنسية عبر كوف دي مورفيل والتاكيدات الفرنسية الرسمية حول حرص فرنسا التقليدي على استقلال لبنان وسلامة اراضيه ، وان يبقى « موحدا ضمن معطيات التوازنات الجديدة » ، وذلك من اجل استقرار المنطقة !

ولم تكن الوساطة الفرنسية بعيدة عن مسالة « التدويل » التي تقول عنها صحيفة «الايكونومست» البريطانية ، ان الكتائب تريد منذ زمن ان تتوسع دائرة الصراع في لبنان بتعريبه اولا ثم بتدويله ... فقد ذكرت مصادر مطلعة ان مورفيل لم يكن وسيطا فرنسيا فقط ، وانما كان موفدا من قبل السوق الاوربية المشتركة ، كما ان مهمته ليست بعيدة عن الولايات المتحدة ...

وقد اكد ذلك كيسنجر بتاريخ ٧٥/١١/١٥ ، بانه لا توجد للولايات المتحدة اعتراضات على وساطة فرنسا في الازمة اللبنانية ، واضاف بان فرنسا تقوم بدور تقليدي في هذه البلاد ، وان الولايات المتحدة ترغب في الاسهام في تسوية هذا النزاع ، ولكنها تفضل ان تبقى خلف الكواليس .

ان الموقف الفرنسي ـ الدولي يتلخص بوضوح في البيان الصادر عن رئاسة الجمهورية الفرنسية الذي قال ، بان فرنسا ترى في لبنان الموحد احد ضمانات السلام في منطقة الشرق الاوسط ، وحذر البيان من فكرة التقسيم وقال ان بلاده ترفض تماما هذه الفكرة لانها تحمل مخاطر قد تؤدي الى الحرب .

واكدت هذا الخط كل من بريطانيا وايطاليا ودول السوق الاوربية التسع عبر اكثر من مسؤول فيها ... وواضح ان الوضع الدولي الراهن بسبب من تعقيداته وتعقيدات الوضع العربي في الصراع مع اسرائيل لا يسمح بخلق دويلات تصبح هي الاخرى مصدرا للمشاكل في المنطقة ، علما بان مشروع التسوية الامبريالية يدخل مرحلته الحاسمة !

على صعيد الوضع العربي

فكما هو واضح ان الوضع لا يسمح بحدوث مثل هذا التقسيم حتى وان كانت اطراف عربية عديدةتدعم القوى اليمينية الفاشية ، لانه يهدد وضع المنطقة وبالتالي مصالحها هي ...

ففي مصر شجب اسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء المصري، ووزير خارجيتها اية محاولة لتقسيم لبنان ، واعتبره خيانة قومية ، اما هيكل ، فقد دعا الدول العربية ليس الى رفض التقسيم فقط ، وانما تحديد دور لبنان من جديد بما يتوافق والمعطيات الجديدة التي افرزتها حرب تشرين واوضاع المنطقة المستجدة ! وهذه السعودية ، فهي الاخرى كما هو واضح ترفض انشاء « وطن مسيحي » ، وكذلك سوريا التي قال خدام بصراحة انه اذا اريد للتقسيم ان يحدث ، فستقوم سوريا بضم لبنان لها ... وفي الحقيقة ان اي من الاطراف العربية لم يكن مع التقسيم لانه يعني كما ذكر اكثر من طرف ، محاولة لتقسيم بلدان عربية اخرى ، الا انه بنفس الوقت استبعدت كل هذه الاطراف حدوث التقسيم في هذا الظرف بالذات !

ومن دون مناقشة الاتجاه السياسي لاي طرف عربي ، الا ان هذا الاجماع العربي على رفض التقسيم سيلعب ايضا دوره الحاسم في عدم حدوثه ، ويجعل الذين يخططون له مستقبلا يجحمون عن طرحه حاليا كاساس في صراعهم ...

على الصعيد المحلي (اللبناني)

فالواضح ان كافة الزعامات التقليدية وقوى سياسية عديدة ومن بينها القوى اليمينية الفاشية نفسها ، لم تجاهر علنا بالتقسيم « الكتائب والاحرار